

فضاء التواصل الإلكتروني

دور الإعلام البديل كأحد مقومات الانتفاضة



وحدة تحليل السياسات

مركز رؤية للتنمية السياسية

2016

العنوان: فضاء التواصل الإلكتروني دور الإعلام البديل كأحد مقومات الانتفاضة

السلسلة:

الكاتب:

الشهر / السنة:

جميع الحقوق محفوظة لمركز رؤية للتنمية السياسية © 2017

يسعى مركز رؤية للتنمية السياسية أن يكون مرجعية مختصة في قضايا التنمية السياسية وصناعة القرار، ومساهماً في تعزيز قيم الديمقراطية والتعددية والاعتدال والتسامح. ويسعى المركز إلى تنمية القدرات والإمكانيات السياسية لدى الأفراد والجماعات والأحزاب في المنطقة، بما يخدم بناء مجتمعات ودول مدنية وديمقراطية قائمة على مبادئ حق تقرير المصير والحرية، بما يساعد على نبذ العنف والتطرف، والمساهمة في إنجاز الشعوب لحقوقها السياسية والمدنية لاسيما الشعب الفلسطيني.

ويهدف المركز إلى مساعدة الكفاءات العلمية والبحثية في مجال العلوم الإنسانية في تطوير مهاراتها و وتميئتها، وتوفير الدعم السياسي والأكاديمي للفلسطينيين، ورعاية الطاقات الثقافية، وتنمية المهارات السياسية لدى الشباب. ويسعى إلى فهم قضايا المجتمع المدني، وتمكين المرأة من خلال أدوات البحث العلمي في الحقول الاجتماعية والإنسانية والسياسية.

Vision Center for Political Development

İkitelli Organize San. Bölgesi Mah. Hürriyet Bulvarı Enkoop Sanayi Sitesi No:70/33

Başakşehir / Istanbul .

Tel: +90 2126310107

www.vision-pd.org/

فضاء التواصل الإلكتروني

دور الإعلام البديل كأحد مقومات الانتفاضة

نوار ثابت

مقدمة

لم تعد المقاومة تتخذ الطابع العسكري على سبيل الحصر، فقد تطورت بتطور العصر التقني، وهذا يعني إمكانية أن تسلح المقاومة ذاتها بالقوة الناعمة، التي تتخذ من الآلة التكنولوجية أداة وأسلوباً جديداً للتصدي والمواجهة.

تنقسم المقاومة إلى نوعين: المقاومة المسلحة، والمقاومة الشعبية. وتتميز المقاومة الشعبية بإمكانية ممارستها من كافة الشرائح والأعمار، وهي بذلك مقاومة يومية، تتجلى في الثبات على المبادئ أولاً، وهي تعبير مستمر عن رفض التماهي وفقدان الهوية ثانياً، خصوصاً فيما يتعلق بالحالة الفلسطينية وخصوصيتها.

تفترض الباحثة أن المقاومة الشعبية قد استعانت بالأدوات التقنية الجديدة، لتضيف إضافة نوعية إلى أشكال المقاومة الفلسطينية. وتكون بذلك قد استفادت من التطور التكنولوجي الهائل، وكم المعلومات المتدفق بسرعة عالية. ولعل أهم مميزات الشكل التقني من المقاومة المدنية: توفرها، وسهولة استخدامها، وقلة تكاليفها. ففي الوقت الذي تدار فيه حرب عسكرية في العالم الواقعي، تدار حرب أخرى باستخدام قواها الناعمة عبر الفضاء الافتراضي.

يتناول نموذج هذه الدراسة الفترة الحالية من الهبة الجماهيرية التي أطلق الشباب الفلسطيني شرارتها في تشرين الأول من عام 2015، في مختلف أنحاء الضفة الغربية، والتي تتخذ أشكالاً مختلفة من الاحتجاج والمقاومة على المستوى الفردي، إضافة إلى الفضاء الإلكتروني، أو ما يسمى بالإعلام الجديد عبر مواقع التواصل الاجتماعي.

تتجلى أهمية هذه الدراسة في دراسة حقل الفضاء الإلكتروني من حيث تركيباته ومختلف أشكاله، ومدى اعتماد الهبة الجماهيرية الحالية عليه. والتعرف إلى طبيعة هذا الفعل التواصلية الاحتجاجية داخل الفضاء الإلكتروني، مثل الفيسبوك وتويتر وواتس أب وجوجل بلس، وغيرها من أدوات التواصل.

يطلق الإعلام الفلسطيني وأغلب منابر الإعلام العربية على هذه الهبة أو الموجة الجماهيرية "انتفاضة القدس"، وإن صح ذلك فستكون هذه الانتفاضة هي الثالثة في تاريخ القضية الفلسطينية، وعلى صعيد حركة التحرر الوطني الفلسطيني. لقد برزت عدة سمات تميز الهبة الحالية، أولها أن جل حملة لوائها من الشباب، كما أن حاضنتهم ليست حزبية فصائلية، وإنما شعبية جماهيرية، وهذا يعني أن العمليات التي يقوم بها الشباب ليست عمليات عسكرية أو مسلحة بالمعنى الحرفي للكلمة، وإنما تستعين بأدوات تدل على شعبية هذه الانتفاضة. أما السمة الجديدة فهي أدوار الأدوات التقنية التواصلية، وهي ما نسلط الضوء عليها في هذه الدراسة، ونتناولها بالوصف والتحليل.

تستعين الدراسة بالمنهج الوصفي التحليلي، وهذا التوصيف لا بد أن يستعين بأدوات بحثية تدرس التقانة الإلكترونية¹ في المجال الفلسطيني: انتشارها، وفعاليتها، وتأثيرها، وهذا يحيلنا إلى تحليل كمي وكيفي عميق يساهم في استخلاص نتائج جادة. حيث تقوم الباحثة بإدراج إحصاءات تبين المدى الذي يستخدم فيه الفلسطينيون الأدوات التقنية في التواصل وعملية الاحتجاج، خصوصا إبان الموجة الانتفاضية الحالية، وقياس مدى تأثير التوظيف للتقانة، والتي نخص فيها هنا مواقع التواصل الاجتماعي. إضافة إلى تناول أهم الحملات التي تم إطلاقها دعما للأسرى وحماية المسجد الأقصى، وغيرها من الحملات، كذلك رصد مواقع التواصل الاجتماعي التي قالت مراكز الإحصاء إنها الأهم على الساحة الفلسطينية، والتي تتوزع بين مواقع إخبارية أو حزبية، مثل صفحة صديفة القدس، ووكالة شهاب للأخبار. أو مواقع التضامن مع الأسرى وأهالي الشهداء، مثل صفحة "الأسير محمد القيق".

ثم تقوم الباحثة بتحليل ما يرد من معلومات من خلال ربطها بنظرية يوغرن هابرماس للتواصل، وربط علاقات التقانة والتواصل بأعمال المقاومة، ثم الوصول إلى نتائج بشأنها.

وقد استخدمت الباحثة أدوات بحثية- نفصلها لاحقا- تساعد في قياس مدى تأثير الفضاء العام الإلكتروني خلال الهبة الجماهيرية في فلسطين، أي تأثيرها في سير الأحداث، ومدى مساهمتها في تحقيق أهداف واستراتيجيات الرسالة المراد إيصالها من خلال مواقع التواصل الاجتماعي. هذا بالإضافة إلى إجراء مقابلات مع الناشطين والفاعلين عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وتوصيف تجاربهم عبر الفضاء الإلكتروني.

تكمن الإشكالية التي يتناولها البحث في دراسة الأدوار المنوطة بالتقانة الإلكترونية الجديدة في المجال الفلسطيني، ودور الفاعلين في مجال وسائل التواصل الاجتماعي، على اختلاف مسؤولياتهم، ليس في بدء الحراك فقط، وإنما في البحث في طرق تدشين قاعدة جماهيرية تساهم في الوصول إلى الكتلة الحرجة²، ومن ثم التأثير فيها. بالإضافة إلى بحث سبل الانتفاض والمحافظة على المنجزات التي تحققها حركة التحرير الفلسطيني بكافة أطرافها وشرائحها. والسؤال الذي يبرز هنا هو حجم مساهمة وتأثير وسائل التواصل الاجتماعي في الهبة الجماهيرية الحالية.

الفصل الأول

¹ التقانة: ترجمة للتكنولوجيا Technology والتي تعني استخدام التطبيقات العلمية للعلم و المعرفة في جميع مجالات الحياة والعمل.

² مصطلح ورد عند جوستاف لوبان في تحليل سيكولوجيا الجماهير، و تعني الهبة الجماهيرية وما يتبعها من حركة في اتجاه التغيير تحتاج لإرادة نسبة معينة من الناس في اتجاه واحد.

مدخل نظري: نظرية الفعل التواصلي

لم يعد موضوع التواصل أمراً له علاقة بتبادل المعلومات، أو مجرد رسالة من مُرسِل إلى مستقبل، أو نص من مبدع إلى جمهوره، أو حتى تداولاً لمعلوماتياً بين الأفراد، بل أصبح للتواصل أبعاداً مهمة أخرى، تُفهم وتعالج كمنظرة علمية لها أسسها ومنظومتها الفلسفية ومنظورها. ونجدها قد تبلورت في تفكير الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس على شكل نظرية الفعل التواصلي، في تطوير لفعل الاتصال على شكل تواصل "بينذاتي" بين الأفراد.

فماذا يعني هابرماس بالفعل التواصلي؟ وما هي مؤدياته؟ وإلى أي أسس ينتمي؟ وما هي تقنياته وأدواته؟ والأهم من هذا إلى أين تقودنا هذه النظرية في هذه الدراسة؟ وكيف يمكن تطوير أطروحتها من خلال الرؤية "التواصلية البينذاتية" (Intersubjectivity)³؟

يُعرّف هابرماس الأفعال التواصلية على أنها: الأفعال التي تكون فيها مستويات الفعل بالنسبة للفاعلين المنتمين إلى العملية التواصلية، غير مرتبطة بحاجيات السياسة فقط، بل مرتبطة بأفعال التفاهم، ولا تفاهم دون لغة، وهذا ما دفعه إلى إدخال اللغة كعامل لفهم العلاقات التواصلية. ولتعزيز تصوره للفعل التواصلي من أجل فهم أفضل للعلاقات الاجتماعية داخل المجتمع، ذهب هابرماس إلى أن الفعل التواصلي يتميز عن غيره من الأفعال الأخرى، بأنه لا يسعى للبحث عن الوسائل التي تمكنه من التأثير في الغير، بل يبحث عن كيفية التوصل إلى تفاهم وتوافق متبادل، دونما إكراه أو قسر، كيغما كان نوعهما (يفوت، 2014).

المذهب الذي يقترحه هابرماس هو الفلسفة العقلانية التواصلية، نظراً لأنها تقوم على العلاقة بين الذات، وتسعى إلى ضبط علاقة الفرد بالغير، وإخضاع العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية داخل المجتمع، إلى أخلاقيات النقاش والحوار، بوصفه مدخلاً لكل تعاقد اجتماعي يحتكم إليه الجميع (يفوت، 2014).

يسعى هابرماس إلى تأسيس "عقلانية تواصلية" تخرج من دائرة الذات والموضوع. فكل عقل هو عقل بينذاتي، أي حصيلة تفاعل بين الذات داخل المجتمع. وإن من أهم مهام التداول عند هابرماس هي وصف الأشياء بواسطة اللغة، وتعبير عن مقاصد المتكلم، إضافة إلى تأسيس علاقات بينذاتية بين المتحاورين (أماية، 1991، ص 87).

يقول هابرماس: "يتعين على كل متكلم أن يختار تعبيراً مفهوماً واضحاً؛ لكي يتمكن المتكلم والمستمع من التفاهم فيما بينهما، إذ يجب على المتكلم أن يكون لديه قصد تبليغ مضمون حقيقي؛ لكي يتمكن المستمع من مشاطرته معرفته، كما عليه أيضاً أن يفصح عن مقاصده لكي يتمكن المخاطب من تصديق أقواله. وأخيراً، يتعين على المتكلم اختيار عبارات صحيحة تلتزم حدود المعايير والمقاييس الجاري العمل بها؛ لكي يتمكن المخاطب من قبول تلك العبارات، بكيفية تجعل المتكلم والمخاطب في وضعية تؤهلهمما للاتفاق" (Habermas, 1979, p.87).

³ يقصد هابرماس بالتواصل البينذاتي Intersubjectivity بالتفاعل الحاصل بين الذات والغيرية، وهو الأساس الذي تبنى عليه عملية التواصل من مرسل الرسالة إلى مستقبلها والتفاعل الناتج عنها بين الأفراد.

وللفعل التواصلي عند هابرماس أخلاقياته ومسؤولياته، ولكل الحق في أن يدلي بدلوه ويفصح عما عنده، وأن يثير النقاش ونقاط المشكلة، دون تضيق أو مضايقة، بهدف تحقيق الإجماع. كما أن الدعاوى المعيارية للصلاحيّة، أي شروط ومعايير قبول ادعاء ما، تتضمن معنى معرفيا، ويجوز التعامل معها بوصفها دعاوى للحقيقة، لذلك من الضروري الدخول في نقاش حقيقي لتأسيس المعايير، اعتمادا على العقل المتواصل المتحاور، وليس على العقل الفردي. وتعني صفة المعرفة أن الشيء قابل للقبول أو الرفض خلال عملية الحوار التي هي أخذ ورد. وعن هابرماس هنا، أن ثمة معايير للتواصل العقلاني بين مجموعة الأفراد، في نقاش ما يعتقدونه وما يرسلونه من رسائل، وهي رسائل ذات قيمة معرفية أو قانونية، وذات مضامين يمكن نقاشها، وقبولها أو رفضها، استنادا إلى معايير يتفق عليها العقل الجمعي في مجتمع ما.

فما هي معايير التواصل التفاعلي المؤثر، قياسا إلى الحراك الفلسطيني الذي ما فتأ يبحث عن سبل جديدة ومبتكرة، تمكنه من الصمود في مواجهة آلة الاحتلال، التي لم توفر قواها الإعلامية والعسكرية وسيلة لاستنزاف الوجود الفلسطيني، وإحلال ذاتها دونه؟؟

تحاول هذه الدراسة تحليل العلاقة بين الثورة المعلوماتية الجديدة ومكتسبات المقاومة منها، أو المهارات التي تستحدث فيها المقاومة ذاتها من خلال التقانة الجديدة، من خلال تنظيم نفسها في الحشد والتعبئة وتقديم المعلومات، مما يتيح للشباب اليوم التفوق على الأنظمة الإعلامية الضخمة التي تمتلكها الكيانات الكبرى.

لقد وفرّ الفضاء الإلكتروني نطاقا أوسع من الحريات يتيح مجالا للرقابة والتأثير، ومن ثم الانتفاض عبر إطلاق التغريدات والمنشورات والمدونات والهاشتاقات، ضمن تبادل وحوار ونقاش وتوافق واعتراض. وهذا يعني تجاوزا للإعلام التقليدي، ورفعاً لحدود الرقابة المباشرة، ودفعاً للحراك الاجتماعي والسياسي، وإسهاما في وعي مقاوم من خلال بين ذاتية تواصلية تفاعلية (أفاية، 1991، ص 206).

تلتبس التقانة في الحسابات السياسية، فالعلم التقاني، بحسب هابرماس، ليس بريئا، ولا محايدا ولا نزيها أيضا. وهذا يعني بشكل آخر تعبيرا عن أيديولوجيا من الحداثة التقانية، التي تعتبر أن رهان تقدم المجتمع، هو التطبيق العملي للمعرفة العلمية من خلال التقانة، بغض النظر عن أدوار اللاعبين، الذين تعتبرهم المدرسة النقدية قد تحولوا إلى وسائل وأدوات تدمج التقانة. ويرى أصحاب المدرسة النقدية أن التقانة تلعب دورا أساسيا في إضفاء المشروعية على النظام الاجتماعي والسياسي (هابرماس، 2001، ص 372-374).

الفعل العقلاني التواصلي

يقسم هابرماس المصلحة البشرية إلى ثلاثة أقسام: المصلحة الأدائية أو التقنية، والمصلحة العملية، والمصلحة التحريرية (هابرماس، 2001، ص 374).

المصلحة التقنية هي التي تستخدم الطرق التجريبية لاستخلاص المعرفة. ودلالاتها أنها ذات قابلية للاستغلال التقني. وهي تستخدم المنهج التجريبي والتحليلي لتوليد المعرفة الأدائية للعلوم الطبيعية، أي الأخذ بنتائج التجربة

في التطبيق الفعلي عبر التقنية. وهذا جانب ينبغي أن نلتفت إليه بين العلوم والتجارب والمصالح التقنية، أو ما وصلت إليه القوة التكنولوجية بعبارة أخرى.

والمصلحة العملية مجالها التواصل بين البشر. وترتكز على الحقل التأويلي للنصوص والخطابات في الحقل التاريخي، وما أحالت إليه من فهم المعاني ومؤدياتها كمصلحة بشرية.

أما المصلحة التحررية، فالنقد فيها سبيل للتحرر والانعتاق وتخليص الإنسان من الزيف والوهم، ومجالها العلوم الاجتماعية النقدية الماركسية، والتحليل النفساني، وفلسفة التأمل النقدي، باعتبار أن التأمل النقدي يحرر الذات من سلطة الأضنام والأوهام وقوى الجمود. ما تجدر الإشارة إليه هو أن المصلحة لا تكون نشيطة إلا داخل الفعل النقدي، الذي يكشف المصالح المحركة للأنشطة التي تولدها ضغوط السلطة (هابرماس، 2001، ص 373).

المصلحة التقنية هي مؤشر على بعد العمل، والمصلحة العملية مؤشر على بعد التفاعل، والمصلحة التحررية المؤسسة على النقد هي مؤشر على الفعل النقدي (يفوت، 2014).

ويذهب هابرماس إلى أن الفعل العقلاني، وهو الفعل المخطط والمحسوب والمصمم لتحقيق هدف بعينه، هو أقصر الطرق للظفر بالنجاح، وأيسرها. وقد يكون الفعل العقلاني ضمن نطاقات متعددة، قانونية واجتماعية وغيرها. كما يقسم هابرماس الفعل العقلاني الموجه نحو النجاح إلى الفعل العقلاني الآدائي، وهو فعل آدائي غير اجتماعي. أما الفعل المخطط، فهو تنافسي يهدف إلى التفوق على الأطراف الأخرى، وهو فعل استراتيجي اجتماعي، وقد يكون صريحا مباشرا عبر المناقشات وتبادل الآراء وغير ذلك، وقد يكون مضمرا وغير صريح عبر التلاعب والإغواء والتحريف الأيديولوجي (فرانك، 2002، ص 25).

بين الإعلام التقليدي والإعلام البديل

أصبحت وسائل الإعلام العادية، مجرد وسائل تقليدية، وتُعرّف بأنها طريق ذو اتجاه واحد من المرسل إلى المستقبل، إذ يمكنك قراءة صحيفة أو الاستماع إلى تقرير على شاشة التلفزيون، ولكنك لا تستطيع طرح أفكارك وآرائك، والنقاش والاعتراض من خلالهما. أما وسائل التواصل الاجتماعي فهي طريق ذو اتجاهين، حيث أن شبكة الإنترنت تمنحك الفرصة للتواصل والاتصال مع الأشخاص الذين تعرفهم، أو الذين يشاركونك بعض اهتماماتك. كما أن المجتمع الافتراضي لا يشكّل مكانا للعثور على المعلومات فقط، وإنما أيضا مكانا لتنظيم الأحداث، والتعبير عن الآراء، ومشاطرة الصور الخاصة، والتعرف على أشخاص جدد، والمشاركة في الحملات والكثير من الأنشطة الأخرى (جوار، 2014، ص 18).

تبرز أهمية تحقيق النجاح في استخدام وسائل الإعلام الاجتماعي، في القدرة على التواصل، والمشاركة، والتفاعل مع المتابعين والمعجبين والجمهور الإلكتروني، والنشر بانتظام، وبطريقة تحافظ على جذب الجمهور وإثارة اهتمامهم. وهذا يتطلب تحديد أهداف الرسالة أو المنشور الإلكتروني، وبالتأكيد الجمهور المستهدف، واستراتيجية عمل الصفحة أو الموقع، ومن ثم استخدام الأدوات الملائمة من خلال النص والصوت والصورة.

ويعرّف الإعلام الاجتماعي بأنه: "المحتوى الإعلامي الذي يتميز بالطابع الشخصي، والمتناقل بين طرفين أحدهما مرسل والآخر مستقبل، عبر وسيلة/ شبكة اجتماعية، مع حرية الرسالة للمرسل، وحرية التجاوب معها للمستقبل" (هوارى، 2015، ص 224).

وهذا يعني استخدام التقنية طرقاً جديدة في الاتصال في البيئة الرقمية، بما يسمح للمجموعات الأصغر من الناس بإمكانية الالتقاء والتجمع على الإنترنت، وتبادل المنافع والمعلومات، وهي بيئة تسمح للأفراد والمجموعات بإسماع صوتهم وصوت مجتمعاتهم إلى العالم أجمع. كما تتيح للأفراد حرية إنشاء المواقع والصفحات، والتعبير عن آرائهم ونقاشها في بيئة إلكترونية مفتوحة، تصل إلى أقاصي العالم دون قيود أو تدخلات. كما تتعدد أنواع الرسائل وأهدافها، فقد تكون ذات طابع اجتماعي، أو إشهاري، أو تجاري.

ويمكن تعريف الإعلام البديل/الجديد تعريفاً إجرائياً، إذ يعتمد على اندماج النص والصورة والفيديو والصوت، فضلاً عن استخدام الكمبيوتر والهواتف النقالة كآليات رئيسة في عملية الإنتاج والعرض. فالإعلام البديل إذن هو إعلام رقمي شبكي تفاعلي.

وتتعدد أشكال الفضاء الإلكتروني: من مواقع الإعلام الإلكتروني، والإذاعة الإلكترونية، والقنوات الإلكترونية، والمدونات، ومواقع التواصل الاجتماعي كالفيسبوك وإنستغرام وتويتر وغيرها. كما يمتاز الإعلام الإلكتروني عن الإعلام التقليدي بسهولة الولوج إليه، وتنوعه، وتعدد أشكاله، وبساطته، إضافة إلى أنه يتيح قدرًا من الرفاهية والتسلية بتكاليف أقل.

وإذا كان الإعلام التقليدي هو إعلام للخاص، وعلى الأغلب من الواحد للجمهور، فإن الإعلام الإلكتروني يزيل الحدود بين العام والخاص، من خلال خاصية التشبيك بين النخب الثقافية والسياسية. كما يتيح الإعلام الإلكتروني أشكالاً جديدة من الفعل الاجتماعي، دون فرض السلطة وسيطرتها، بل إن الإعلام الإلكتروني يتيح انسجاماً فكرياً واسعاً. فضلاً عن الأساليب المستحدثة التي يبدعها المستخدمون من خلال صور وتعبيرات ذاتية في جماليات مبتكرة.

ثمة اثنين من النماذج التي أحييت إليها تفسيرات وسائل الإعلام البديل، أو وسائل التواصل الاجتماعي. أولهما: الحتمية التكنولوجية، وتعني أن التكنولوجيا هي أساس قوة التغيير في الواقع الثقافي والاجتماعي، وبها يتم تحسين شروط العالم المعاش، من خلال عملية التواصل والتفاهم وتعزيز الحياة الديمقراطية (الراوي، 2012، ص 98).

وثانيهما الحتمية الاجتماعية، التي ترى أن البنى الاجتماعية هي أساس قوة التغيير، وهي التي تتحكم بوسائل الاتصال، وتحدد محتواها وتملؤها بجعبتها.

لا تضع البحوث المتخصصة في العلوم الاجتماعية والإنسانية الجديدة حداً فاصلاً بين البنية التكنولوجية والبنية الاجتماعية، فلا تدرس الحالات ولا تصنفها على أنها تقنية أو اجتماعية، بل تمثل الاجتماعي لما هو تقني، وكيفية ولوج ما هو تقني في الحياة الاجتماعية (الراوي، 2012، ص 98).

ولبيان أهمية الإعلام البديل، يُشار إلى أن عدد مستخدمي فيسبوك عام 2014 في العالم يقدر بـ 1.3 مليار مستخدم، و 645 مليون مستخدم لتويتر، ويحقق يوتيوب أكثر من 4 مليار مشاهدة يوميا، و 277 مليون مستخدم لموقع لينكد إن (مركز حوار، 2014، ص 25).

الفضاء العام للإعلام البديل

ظهر مفهوم الفضاء العام لدى الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس عندما أعد أطروحته "الفضاء العمومي: أركيلوجيا الدعاية باعتبارها مكونا بنيويا للمجتمع البرجوازي". عرف هابرماس خلال الأطروحة الفضاء العام البرجوازي إبان ميلاد الصحافة الإنجليزية، والتي شكّلت آنذاك أداة مهمة للسلطة السياسية، وكان دورها إذاعة الأخبار ومراسيم البروتوكولات، إضافة إلى أسعار المنتجات. ومن ذلك نشأت نواد وصالونات ومجالس ثقافية لتبادل الرأي والنقاش، في قضايا أدبية وفنية، وأمور المواطنين السياسية والاجتماعية، والأوضاع الاقتصادية، وأمور مختلفة. وقد أطلق هابرماس على هذه المجامع، وليس على سبيل الحصر، مسمى "الفضاء العمومي" (الراوي، 2012، ص 227).

المنهجية والأدوات التحليلية في قياس الفضاء الإلكتروني

تسعى الباحثة لقياس مدى تأثير الفضاء العام الإلكتروني في سير أحداث الموجة الانتفاضة الحالية، والأدوار التي تأخذها مواقع التواصل الاجتماعي، ومدى قدرة الفاعلين على التواصل لتحقيق أهداف واستراتيجيات الرسالة، المراد إيصالها من خلال مواقع التواصل الاجتماعي.

هذا يعني استخدام أدوات لقياس المشاركات، والحوارات، والتواصل، وتكوين المجموعات عند المستخدمين، ومدى قدرتهم في التأثير بالكتلة الحرجة، وتحقيق أهداف الرسالة/المنشور. كما ستقوم الباحثة برصد بعض الصفحات الإخبارية والإعلامية والاجتماعية، التي برزت خلال موجة الانتفاضة الحالية، وذلك من خلال قياس وتحليل منشوراتها، ونسبة التفاعل مع منشوراتها ومشاركتها، خصوصا عبر موقع فيسبوك.

كما سيتم تناول وقراءة الصفحات بتحليل مدى الحراك والتفاعل معها، وقياس عدد المعجبين منذ بدايات الانتفاضة، والزيادات التي طرأت عليها، نسبة إلى الأحداث على الساحة الفلسطينية. إضافة إلى تحليل شامل لمنشورات الصفحة من حيث عدد الإعجابات والتعليقات والمشاركات في فترات زمنية معينة، وتحديد أفضل الفترات التي سجلت أوج التفاعل والانجذاب. ومن ثم تحليل مدى انسجام وتفاعل الصفحة نفسها مع أسئلة المعجبين. كما كان من الضرورة بمكان تناول طبيعة منشورات الصفحة من نصوص وهاشتاقات وصور وفيديوهات

وروابط مختلفة، وبيان طبيعة المنشورات وتفاعل المعجبين معها. بالإضافة إلى تحليل طبيعة الهاشتاق نفسه، ومدى انتشاره وتفاعل الجمهور معه⁴.

الفصل الثاني

تقانة المقاومة الجديدة: دور الفضاء الإلكتروني في التنظيم والتنظير والقيادة

زاد عدد مستخدمي فيسبوك في العالم العربي خلال عام 2010 عن 26 مليون مستخدم، وارتفع إلى 36 مليون مستخدم منذ بدء الثورات العربية عام 2011، ثم ارتفع العدد إلى 62 مليون مستخدم خلال عام 2016، وذلك حسب إحصائيات حديثة صدرت عن برنامج الابتكار والحوكمة في كلية محمد بن راشد للإدارة الحكومية (الغد، مايو 2016).

لمواقع التواصل الاجتماعي دور فاعل في الحركات الشعبية، التي اندلعت في عدد من الدول العربية، والتي لم تنته حتى اللحظة. وليس من المبالغة القول إن من أبرز ما ميز هذه الحركات هو مقدار تفاعل الشباب عبر صفحات الشبكة الإلكترونية ومناظراتها المتعددة، التي تتميز بسعة نطاقها، وعالميته، وسهولة استخدامها، وتأثيرها الكبير.

يرى سيد نجم، الكاتب والمحلل المصري، أن شباب مصر وتونس استوعبوا الدرس، وفهموا التقنية الجديدة ومفاهيم المقاومة من ذاتها وبذاتها. لقد أصبحت التقنية الجديدة سلاحاً أيدولوجياً يستثمره الشباب في خوض الثورات.

"لقد كان معظم الشباب الذين قادوا التحركات ناضجين تكنولوجياً، وقد وضع أنهم على درجة عالية من فهم المعطيات العلمية للتقنية الرقمية، فالتطبيقية (الافتراضية) الجديدة في المجتمع الرقمي، تعتمد على أفراد من ذوي الكفاءة الخاصة والذكاء الباهر، وهما ملكتان لا تورثان مستقبلاً، كما تورث أي طبقة في المجتمع الرأسمالي أو شبه الرأسمالي؛ لأنهما ملكتان مكتسبتان من الفرد أو الذات المبدعة. وهاتان الملكتان معا تمنحان لأصحابهما ولطبقة آفاق التطور غير المحدود. وأخيراً، هذه الطبقة الوليدة التي ستمتلك المعرفة والثروة، بدرجات متفاوتة، مقبولة اجتماعياً، وقوانين صراعها مرحب بها، على العكس من المفهوم الطبقي الرأسمالي والشيواعي" (نجم، 2012).

⁴ الهاشتاق هو الكلمة التي تأتي بعد إشارة السلم أو المربع (#) ، وتستخدم لتصنيف المنشورات إلى مواضيع محددة، تُسهّل عملية البحث والوصول إلى هذه المنشورات، والمشاركة في النقاش حول نفس القضية. الترجمة الأقرب لكلمة هاشتاق في اللغة العربية هي "وسم"، أي العلامة أو الإشارة التي يعرف بها الشيء. وعند استخدام الهاشتاق على وسائل التواصل الاجتماعي، يتحول النص إلى لون مختلف كدلالة على إمكانية الضغط عليه، وعند الضغط عليه تقوم المنصة باستحضار المنشورات التي نشرت باستخدام نفس الهاشتاق الذي تم الضغط عليه.

تناولت هذه الدراسة، بعين القراءة والتحليل، تقرير سوشياي ستوديو مع نهاية عام 2015، الذي أعد بهدف توثيق حالة وسائل التواصل الاجتماعي في فلسطين، ودراسة سلوك الفلسطينيين على هذه الوسائل. تناول التقرير مستخدمي الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي في فلسطين، ونسب استخدام وسائل التواصل الاجتماعي المختلفة من عدد مستخدمي الإنترنت في فلسطين، وتوزيع مستخدمي الفيسبوك جغرافيا حسب العمر والجنس، وأوقات استخدام الفيسبوك، والأجهزة المستخدمة في الوصول إليه، وتكرار استخدامه، وأهداف استخدام وسائل التواصل الاجتماعي (سوشياي ستوديو، 2015).

لقد استخدمت الباحثة برنامجا رقميا لقياس مواقع التواصل الاجتماعي كميًا، من حيث قياس عدد المتابعين لصفحة ما، وعدد المنشورات ونسبة التفاعل، وذلك بالإفادة من مركز إحصاءات سوشياي ميديا في فلسطين. يقول تقرير سوشياي ميديا إن نسبة عدد المتصلين بالإنترنت في فلسطين عام 2015 وصلت 50% من عدد السكان، أما نسبة مستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي فقد وصلت 37%. ووصل عدد مستخدمي الفيسبوك في الضفة الغربية وقطاع غزة إلى مليون وسبعمئة ألف مستخدم، أي 84% من مستخدمي وسائل التواصل. أما واتس أب فحوالي مليون ونيّف، أي ما نسبته 47%، وجوجل بلس حوالي ثلاثمائة وخمسة وثمانون ألفًا، أي 18%، وكل من إنستغرام وتويتر حوالي ثلاثمائة ألف مستخدم، أي 16%، ولينكد إن حوالي مئة ألف مستخدم، أي 6% (سوشياي ستوديو، 2015).

أما عن مستخدمي فيسبوك في كافة أنحاء فلسطين، فيصل عددهم إلى 2.586.400 مستخدم، 68% منهم في الضفة وغزة، 7% من القدس، و 25% من فلسطين المحتلة عام 1948.

وبالنسبة لتوزيع المستخدمين للفيسبوك على المدن والمحافظات، فقد تصدرت مدينة نابلس مدن الضفة الغربية بنسبة تصل إلى 20%، تليها مدينة رام الله 13%، والخليل 11%، ثم كل من جنين وبيت لحم 5%، وطولكرم 4%، ثم كل من قلقيلية وأريحا 1% فقط. أما في قطاع غزة، فقد وصلت النسبة في مدينة غزة إلى 37%، بينما اقتصر في كل من رفح وخانيونس على 1% فقط.

أما من حيث توزيع الإناث والذكور، فقد وصلت نسبة استخدام الفيسبوك من الإناث إلى 43%، ومن الذكور 57% (سوشياي ستوديو، 2015).

وبالنسبة لتوزيع المستخدمين للفيسبوك حسب الفئات العمرية، تصدرت فئة الشباب باقي الفئات، حيث تصل إلى 37%، بينما تتفاوت نسبة استخدام الفئات العمرية المختلفة بين 17% للأطفال تحت سن السابعة عشرة، و 27% للفئة العمرية فوق الرابعة والعشرين، و 10% لفئة الأربعين عاما فما فوق.

وقد وصلت ساعات استخدام الفيسبوك ذروتها في ساعات المساء، أي من الساعة السادسة مساء وحتى التاسعة مساء، حيث تصل نسبة الاستخدام في تلك الفترة إلى 50%، بينما تتوزع ساعات الاستخدام الأخرى على باقي أوقات اليوم (سوشياي ستوديو، 2015).

أما أكثر الأجهزة استخداماً للولوج الإلكتروني فهي الهواتف الذكية، أي كل من الهاتف الذكي والكمبيوتر الشخصي، التي وصلت نسبة استخدامها إلى 36%. وقد أكد التقرير أن 90% من مستخدمي فيسبوك يكررون استخدام فيسبوك أكثر من مرة في اليوم (سوشيال ستوديو، 2015).

وقد أظهرت عينات البحث في التقرير أن أولويات استخدام مواقع التواصل الاجتماعي كانت لمتابعة الأخبار والأحداث، وبنسبة 96%، ثم للتواصل مع الأصدقاء بنسبة 94%، ومشاهدة فيديوهات 66%، وللبحث عن عمل أو للترويج لبضاعة 61%، ولتعبئة وقت الفراغ 54%، وللإطلاع ومواكبة التطور 50%، ونسبة ضئيلة تصل إلى 13% للترفيه.

وقد قال 62% من مستخدمي مواقع التواصل -بصورة عامة- إنهم يتحققون من الأخبار قبل مشاركتها أو الأخذ بها. وقال 66% منهم إنهم يأخذون بعين الاعتبار مراقبة الأجهزة الأمنية لوسائل التواصل الاجتماعي.

وقد كانت أكثر الكلمات التي بحثت على محرك البحث جوجل في عام 2015 هي "فيسبوك". وأكثر المواقع الإخبارية بحثاً كانت دنيا الوطن، غزة، أخبار، معا.

أما عن الصفحات الإعلامية والإخبارية الأكثر انتشاراً في فلسطين، فقد تصدرت صفحة صحيفة القدس بما يزيد عن ستة ملايين إعجاب، في معدل تفاعل خمسة آلاف إعجاب "لايك" للمنشور الواحد، ولعدد منشورات كلي يزيد عن عشرة آلاف منشور. وقد لاحظت الباحثة زيادة عدد متابعي الصفحة خلال الهبة الجماهيرية بما يقارب المليون متابع، لعدد منشورات كلي يصل إلى الألف منشور في الفترة المحددة، وبتفاعل كلي يصل إلى سبعمائة ألف تفاعل، بما مجموعه ستمائة ألف تفاعل للمنشور الواحد. وقد كان العدد الأكبر من المتابعين للصفحة من مصر، ثم تونس، والجزائر، والمغرب، وتأتي فلسطين بنسبة متابعة 6%.

وقد نالت وكالة شهاب للأنباء ما يزيد عن خمسة ملايين إعجاب خلال سنة 2015، بمعدل ألفين وثمانمائة إعجاب للمنشور الواحد، وبعده منشورات كلي يزيد عن أربع وسبعين ألف منشور. كما لاحظت الباحثة زيادة عدد متابعي صفحة الوكالة خلال الهبة الجماهيرية بحوالي نصف مليون متابع، وأن عدد المنشورات الكلي خلال الهبة كان أكثر من أربعة آلاف منشور، وأما معدلات التفاعل، من حيث عدد الإعجابات والتعليقات والمشاركات، فقد قارب 7 ملايين، أي بمعدل مليون ونصف مليون للمنشور الواحد. كما أن أكثر المناطق تفاعلاً مع الصفحة خلال الفترة التي تم تحديدها، هي فلسطين، مصر، الجزائر، وتونس. أما عن السبب في تزايد التفاعل والإقبال على هذه الصفحة، فيفسر ضمن الإطار النظري للفعل التواصل الذي أشرنا إليه في المقدمة النظرية، والذي يقول بأن التواصل الفعال يصل أوج التفاعل عندما يُحقق في وعي جمعي مشترك، ويلامس اهتمام الجماهير والدعاوى التي يرون أنها تحقق شروط التفاعل الديمقراطي، من نقاش وتبادل للآراء، والاعتراف بحق الآخر في القبول أو الرفض.

وقد حصلت صفحة تلفزيون فلسطين على ما يزيد عن ثلاثة ملايين إعجاب، بمعدل ألف إعجاب للمنشور الواحد، وبعده منشورات يزيد عن ثلاث وأربعين منشورا.

أما شبكة قدس الإخبارية فقد وصل عدد معجبيها لما يزيد عن أربعة ملايين معجب، بمعدل تفاعل يصل إلى ألفي إعجاب للمنشور الواحد، ولعدد كلي لمنشوراتها يزيد عن تسع وثلاثين ألف منشور. تليها وكالات إخبارية أخرى تزيد وتنقص عن مليوني معجب، مثل وكالة وطن للأخبار، ورايو أجيال، ورايو بيت لحم، ورايو FM، وصفحة فلسطين أون لاين، ووكالة معا الإخبارية، وغيرها من الصفحات.

أما بالنسبة للإحصاءات الخاصة بالصفحات "الإسرائيلية" الناطقة باللغة العربية، والتي تهدف إلى بث دعاية الاحتلال، ونشر روايته عن طريق وسائل التواصل الاجتماعي، للتأثير على الفلسطينيين والعرب بشكل عام، فقد لوحظ أن أغلب متابعي هذه الصفحات من جمهورية مصر يليها الفلسطينيون. تصدرت هذه الصفحات صفحة "إسرائيل بدون رقابة" بعدد إعجابات يزيد عن المليون إعجاب، زاد عليها أكثر من 79 ألف إعجاب منذ عام 2015، وبعدها كلي يزيد عن ألفي منشور، بمعدل تفاعل يصل إلى مئتي إعجاب. يليها صفحة "أفيخاي أدري"، الناطق باسم جيش الاحتلال الصهيوني، بمعدل إعجابات يزيد عن ثمانمائة ألف إعجاب، زاد منها أكثر من مائتي ألف إعجاب خلال 2015، بمعدل تفاعل يزيد عن ثلاثة آلاف إعجاب للمنشور الواحد.

ثم صفحة "إسرائيل تتكلم بالعربية"، بما يزيد عن ستمائة ألف إعجاب، زاد منها مائة وأربعون ألف إعجاب مؤخرًا، بمعدل تفاعل يزيد عن ألف ومئتي إعجاب للمنشور الواحد. ثم صفحة "رئيس دولة إسرائيل"، بما يزيد عن مائتين وخمسين ألف إعجاب. وصفحة "المصدر"، التي أعجب بها ما يزيد عن نصف مليون معجب.

وبما أن الفضاء الإلكتروني يتيح الولوج لكافة الأفراد ودون رقابة مباشرة، يذهب الفلسطينيون إلى تفريغ شحنات الغضب الإلكتروني، والدليل على ذلك أن معظم التفاعل مع منشورات الصفحات "الإسرائيلية" كان سلبيًا، حيث يتيح فيسبوك خاصية التفاعل السلبي مع المنشورات، أو لمجرد الاطلاع.

بالنسبة للصفحات السياسية وصفحات الأحزاب، فقد تصدرتها صفحة "مش هيك"، بما يزيد عن مئة ألف معجب، بمعدل تفاعل 726 إعجاب للمنشور الواحد. أما صفحة حركة فتح، فنالت عشرين ألف إعجاب، بمعدل تفاعل 60 إعجاب للمنشور الواحد.

بالنسبة لحركة حماس، يزيد عدد متابعي موقعها الرسمي على تويتر عن مائتي ألف متابع. وأما صفحة القيادي في الحركة اسماعيل هنية، فقد زاد عدد معجبيه عن الثلاثمائة ألف متابع. وأكثر من مئة ألف متابع لصفحة شبكة فلسطين للحوار، ومثلها لوكالة شهاب للأخبار.

وحازت فضائية القدس على ما يقارب ثلاثمائة ألف إعجاب. بينما حصلت فضائية الأقصى على خمس وأربعين ألف إعجاب، وصفحة الأسير الصحفي محمد القيق على حوالي سبعة عشر ألف إعجاب.

أما على موقع يوتيوب، فقد حصلت وكالة وطن للأخبار على ما يقارب أحد عشر مليون مشاهدة. وحصلت قناة الأقصى الفضائية على أكثر من خمس ملايين مشاهدة، بمشاركة أربعة وثلاثين ألف فيديو. ويلاحظ تصدر قنوات اليوتيوب ذات الطابع السياسي الساخر والكوميدي، مثل قناة "على كيفك"، و"ع بلاطة"، وغيرها من المواقع.

كما وجدت الباحثة أن معدل مشاركة المستخدمين للمنشورات على شكل فيديو، هو أعلى من معدل مشاركتهم لباقي المنشورات.

الهاشتاق يتفاعل في الانتفاضة

تم استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في العديد من المبادرات خلال الهبة الجماهيرية الأخيرة، وذلك عن طريق تشكيل صفحات أو مجموعات، لحشد الجماهير، وتعبئة الرأي العام، وترجمة الفكرة من العالم الافتراضي إلى العالم الواقعي. ومن أهم هذه المبادرات والحملات كانت حملة المطالبة بتسليم جثامين الشهداء، التي بادر لها محمد عليان والد الشهيد بهاء عليان، والفكرة عبارة عن إطلاق حملة عبر مواقع التواصل الاجتماعي لاستعادة جثامين شهداء الانتفاضة، المحتجزة لدى الاحتلال، حيث انتشر الهاشتاق #استعادة_جثامين_الشهداء، وهاشتاق #دنا_ولادنا.

ومن الهاشتاقات التي انتشرت عبر مواقع التواصل الاجتماعي إبان الهبة الحالية، الهاشتاق "#سامحوني"، حيث استخدمه الناشطون إثر حملة الاعتقالات التي شنتها قوات الاحتلال بحق الشبان والشابات بعد كتابتهم كلمة "سامحوني" على حساباتهم الخاصة، إذ يظن الاحتلال أن من ينشر هذه الكلمة سيقوم بعمليات دهن أو طعن، أو غيرها من العمليات ضد الاحتلال.

وفي سياق آخر، وعلى صعيد حملة الاعتقالات التي تقوم بها الأجهزة الأمنية الفلسطينية بحق الشبان، وخصوصا طلاب الجامعات ونشطاء حركة حماس، والتي زادت موجتها منذ الهبة الجماهيرية، انتشر الهاشتاق "#أعيدوا_أبي". كما أطلق ناشطون الهاشتاق "#لن_يقسم" احتجاجا على مخططات الاحتلال لتقسيم المسجد الأقصى، وتأكيدا على رفض هذه المخططات.

وبعد شهر من الهبة الجماهيرية، وبسبب تركيز العمليات في القدس وقريبا من المسجد الأقصى، قامت قوات الاحتلال باتخاذ إجراءات قمعية بحق المقدسيين، مما أعاق حركتهم وممارسة نشاطهم الطبيعي، فاطلق الناشطون الهاشتاق "#مش_خايفين". يعبر المقدسيون في هذا الهاشتاق عن تحديهم لقوات الاحتلال التي تمارس سياسة القمع والتضييق، وقد تفاعل معه الشباب المقدسيون، بحيث انتشر بسرعة هائلة، تأكيداً منهم على حقهم في ممارسة حرياتهم في مدينة القدس.

كما انطلق الهاشتاق "#همش" من مدينة الخليل، وهي من أكثر المدن تفاعلا خلال الهبة الجماهيرية، حيث كان جل منفذي العمليات منها، وقد أطلق هذا الهاشتاق بعد انتشار فيديو الحاج زياد أبو هليل مخاطبا قوات الاحتلال

- أثبتت طريقة تفعيل الهاشتاقات والأوسمة أهميتها خلال الانتفاضة، حيث أن الهاشتاقات التي انتشرت ونجحت عالميا كانت أكثر مهنية من غيرها.
- لم تأبه الصفحات الإخبارية في نشر الصور التي لا تراعي مشاعر الجمهور، وأهالي الشهداء إلى حد ما، حيث تم نشر الصور التي تحتوي على مشاهد حادة من دماء وأشلاء. وهذا يتعارض مع المسؤولية الأخلاقية للعملية التواصلية ذات الرسالة الاستراتيجية المخططة لتحقيق أهدافها. وهو أيضا يتعلق بالدعوى المعيارية للصلاحيات، أي شروط ومعايير قبول رسالة ما، التي تتضمن معاني الصدق والشفافية وأخلاق المهنة.

الفصل الثالث

يقاومون في الفضاء الإلكتروني

"خضت معركتي عبر الفضاء الإلكتروني" فيحاء شلش

لا شك أن الحملات الإلكترونية، ومعظم قنوات التواصل الاجتماعي، قد ساهمت في دعم الصحفي محمد القيق وعائلته، إضافة إلى كونها لعبت دورا أساسيا ومهما في اجتياز معركة الأعماء الخاوية، أي تحقيق المصلحة التحريرية من خلال تفعيل دور التواصل التقني. وربما يُطرح هنا سؤال الآلية التي تم من خلالها تفعيل دور الإعلام البديل في دعم الأسرى، أو القضايا الوطنية الأخرى، خصوصا في أوقات الحراكات والهبات الشعبية والجمهيرية. فكيف تم تفعيل أدوات الإعلام البديل؟ وهل تمت إدارته بمهنية ليعود بالحد الأقصى من النتائج؟

وللإجابة على الأسئلة المطروحة، يحدد هذا البحث نموذج دراسة، ويتناولها بالرصد والتحليل. والحالة الدراسية هي الحملات التي تم تفعيلها من خلال الإعلام البديل، أو مواقع التواصل الاجتماعي، لدعم إضراب الصحفي محمد القيق. احتاج البحث لإجراء بعض المقابلات مع القائمين على الحملة وآليات وأدوات تفعيلها، والنظر في مدى نجاعتها.

قصة الإضراب وحملة دعم محمد القيق عبر وسائل التواصل الاجتماعي:

محمد القيق صحفي من مدينة دورا في محافظة الخليل، ويعمل لدى قناة المجد الفضائية، وكان قد اعتقل في أواخر عام 2015 على أساس مهنته كصحفي. تقول الصحفية فيحاء شلش، زوجة الأسير الصحفي محمد القيق، ومسؤولة الحملة الإعلامية لدعمه، إن من دوافع القيق لخوض الإضراب عن الطعام كانت المعاملة الوحشية التي تعرض لها فور اعتقاله، حيث تم تهديده منذ الأيام الأولى لاعتقاله بتحويله إلى الاعتقال الإداري، وسيستمر تمديد

الحكم مرارا.⁵ وتضيف شلش أن سلاح المقاومة الوحيد لدى الأسير الفلسطيني هو سلاح أمعائه الخاوية، وذلك بإعلانه إضرابا مفتوحا عن الطعام على الطريقة الإيرلندية، ودون الاستعانة بالمدمعات، وهذه في الحقيقة تعني مجازفة خطيرة، بأن يختار الأسير بين حريته وحياته.⁶

بدأت الحملة الإعلامية من خلال موقع فيسبوك، وذلك فور اعتقال محمد القيق وإعلانه عن إضرابه المفتوح. إذ أطلقت صفحات لدعم القيق بواسطة زملائة الصحفيين، وكانت أكثر الصفحات بروزا هي صفحة "الأسير الصحفي محمد القيق"، و صفحة "الحرية للأسير محمد القيق"، التي حازت منذ تدشينها أواخر عام 2015 ولغاية شهر إبريل 2016، على ما يقارب سبعة عشر ألف إعجاب. هذا بالإضافة إلى مساهمة الصفحات الإخبارية والإعلامية، التي كانت تشارك الأخبار والصور والإعلانات ذات العلاقة.

وكان على عاتق فيحاء شلش، إضافة إلى عدد من الزملاء والناشطين، تفعيل الحملة من خلال مواقع التواصل، من حيث المتابعة المتزامنة مع الأحداث والتطورات، فكانت المعلومات عبارة عن منشورات نصية، وصور وفيديوهات، تتدفق مباشرة وبشكل سريع. ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل كانت الفعاليات والنشاطات والتظاهرات تنسق عبر الصفحة، من خلال إنشاء "إيفنت" event، لتحديد وقت التظاهرة ومكانها.

نُشرت على الصفحات آلاف المنشورات، إما بواسطة الصحفية شلش، وعدد من الزملاء من نقابة الصحفيين، أو بواسطة المتابعين والمتفاعلين. وكان محتوى الصفحات يشمل، وبنسب متفاوتة، نشر الأخبار المتعلقة بجلسات محكمة القيق، ومتابعة وضعه الصحي، والسياسات التي يتعامل بها الاحتلال معه أثناء وجوده في المستشفى، وتعاطي إعلام الاحتلال مع قضيته. كما كانت الصفحات تتابع تفاعل الجماهير داخل فلسطين وخارجها، من مظاهرات ووقفات وأشكال التضامن المختلفة. أما أهم الأدوار التي كانت تقوم بها الصفحات، فهي إدارة حملة دعم القيق وتنظيمها، من خلال الإعلان عن التظاهرات وأوقاتها، وحشد الجمهور للتفاعل والمشاركة.

وقد تراوحت موضوعات المحتوى بين نصوص، وصور، وفيديوهات، ومشاركة روابط تتابع أخبار القيق، وتفاعل المتضامنين معه. وكان حجم التفاعل والمشاركة مع أخبار القيق وصوره كبيرا جدا، ومن مختلف البلدان والجنسيات، بحيث انتقلت قضية القيق من الإطار المحلي إلى الإطار العالمي خلال وقت قصير، فأصبحت هاشتاغات دعم القيق، وصوره وتحركات زوجته، معولمة ومتداولة ومنتشرة بشكل واضح.

كما حازت صور القيق أثناء وجوده في المستشفى، وتدهور حالته الصحية، على أكثر عدد تفاعل ومشاركة. إضافة إلى المشاركات التي تداولت صوراً لأبنائه وعائلته، حيث حصلت الصور على أكثر نسبة تفاعل (برنامج حكي، 2016).

واللافت للانتباه هو مدى سرعة استجابة المستخدمين وتفاعلهم، إذ يلاحظ أنهم لم يتفاعلوا ويشاركوا محتوى الصفحة فقط، وإنما شاركوا في صناعة الحدث، والتفاعل معه بأشكال مختلفة، كتنسيق البوسترات، أو عن طريق

⁵ يعني الاعتقال الإداري الحكم على الأسير الفلسطيني بالسجن دون تهمة ودون دليل ولمدة ثلاثة شهور أو ستة شهور، ويتم تمديد هذا الحكم عدة مرات، وقد يقضي الأسير بناء على ذلك عدة سنوات في الاعتقال. وقد شرعت سياسة الاعتقال الإداري سلطات الانتداب البريطاني عام 1945.

⁶ تعني الطريقة الإيرلندية في الإضراب عن الطعام أن يعلن أحد الأسرى إضرابه عن الطعام، ويستمر في ذلك حتى الموت، ثم يعلن أسير آخر إضرابه، وهكذا، وهو يعني الإضراب فردا فردا.

الرسم، أو من خلال نظم الشعر، أو الفن، حيث تم إعداد فيلم "القيق"، وهو من نوع فيلم اللقطة الواحدة، وقد شارك هذا الفيلم في مهرجان "كان" السينمائي، الذي انعقد سنويا في فرنسا (أبو صالح، 2016).

لقد تخطت الحملة الإلكترونية الحدود المتوقعة، فوصل التفاعل إلى أماكن بعيدة، كالأردن ومصر وتركيا والولايات المتحدة، وقد تجلّى هذا التفاعل من خلال مشاركة المنشورات من صور وفيديوهات وهاشتاقات، بل وإقامة الفعاليات وحشد الجمهور لها، والتظاهر أمام السفارات في دول مختلفة.

في غرفة اجتماعات افتراضية تحت مسمى "الحرية لمحمد القيق"، كان الصحفيون يعقدون اجتماعاتهم للتشاور في إطلاق المنشورات والحملات، والاتفاق على نشر الهاشتاقات، تبعا لتطور الأحداث، خصوصا بعد تدهور الحالة الصحية للقيق.

تقول شلش في مقابلتنا معها: "كنت أعني تماما أن الإعلام الإلكتروني متوفر في كل بيت، وكنت أريد أن تصل رسالة محمد إلى أبعد مدى"، وتضيف: "نقل المعلومة وتوصيلها يُشعر الجمهور أنهم في قلب الحدث... هذا هو إعلام العصر" (شلش، 2016).

وتقول نعاء حامد، وهي ناشطة شبابية ومنسقة العلاقات العامة في جمعية إنعاش الأسرة بمدينة البيرة، وواحدة من القائمين على حملة دعم محمد القيق الإعلامية: "...لقد أدركنا دور وأهمية منصات التفاعل الاجتماعي الجديدة، والإعلام الجديد، في نشر المعلومة وصنع الرأي العام، وذلك نظرا لسهولة النشر، وسرعته، ووجود جمهور عريض لا تترتب عليه تكاليف كما في الصحف والمجلات. وبالتأكيد لكل وسيلة إعلامية سلبياتها، ولكن وجدنا في منصات التواصل الاجتماعي وسيلة مناسبة وناجحة لصنع رأي عام، وخلق حالة من الحشد حول قضايا خاصة. بداية كانت الفكرة في حملة الزميل محمد القيق، انطلاقا من الشعور بالمسؤولية والاستهداف، أنت كصحفي مستهدف، اليوم محمد، وغدا أنا وأنت.."(حامد، 2016).

أما عن آلية العمل التي قام بها الناشطون على مواقع التواصل الاجتماعي لدعم القيق، فتقول حامد: "نظمت مجموعة من أعضاء نقابة الصحفيين والنشطاء فعاليات مساندة مباشرة بعد دخول القيق في الإضراب؛ وذلك لفضح ممارسات الاحتلال الهمجية، ووقف الحملة الشرسة ضد الصحافة. لقد بدأنا إلكترونيا، ثم تمت ترجمة هذه الفعاليات على أرض الواقع، حيث قُسمت الحملة إلى جزئين مهمين:

- إعلانات مكثفة عن الفعاليات الميدانية، ومتابعة الأخبار الواردة من داخل المستشفى، مما شكل حالة سريعة في الحصول على المعلومة، وتأثير شديد لدى الجمهور.

- هاشتاقات على الحيز الافتراضي.

وترى حامد أن التضامن مع القيق في البداية كان بسيطا، ولم يتعدّ بعض النشطاء وأصدقاء القيق، ولكن مع مرور الأيام، خاصة بعد اليوم 63، حصل تحول كبير في دعم القيق إثر تدهور حالته الصحية. وتضيف: "كان الكثير من المواطنين يلبّون دعوات التظاهر، خاصة المسائية، ورغم الأجواء الباردة كنا نحصل على مئات المشاركات "الشير"

share للفعالية الواحدة، ووجد الناس العاديون في هذه الحملة منصة للتعبير عن مشاعر التضامن. وقد تخطى الأمر حدود فلسطين إلى الخارج في مناطق مختلفة" (حامد، 2016).

أما أبرز الهاشتاقات للتضامن مع القيق، فقد كانت:

#لا للاعتقال_الإداري #الحرية_لمحمد_القيق

#اليوم81والفصائل_نايمين #اليوم83والكل_نايمين

#لماذا_تركتم_القيق_وحيدا #حرا_أو_شهيدا

#أنقذوا_القيق #النداء_الأخير

وعن الملاحظات الأمنية للناشطين عبر وسائل التواصل الاجتماعي، سواء من قبل الاحتلال أو الأجهزة الأمنية الفلسطينية، تجيب حامد: "تم استدعاء العديد من الزملاء من قبل الأجهزة الأمنية، والتحقق مع بعضهم، ولكن قررنا عدم الالتفات لهذه المخاطر؛ لأن الأمر كان يتعلق بحياة إنسان، وهو زميل صحفي كانت حياته على المحك". واستنادا إلى هابرماس، الذي يرى أن الفعل التواصلي يمارس عقلانيته في بيئة ديمقراطية دون تأثير الأيديولوجيات، وعلى أساس الحقوق الإنسانية، وضمن تفاهات وتوافقات بين البشر في المجتمعات، فإن الحملة الإلكترونية لدعم القيق سلّطت الضوء على قضية الأسرى كموضوع إنساني، وفتحت ملفهم من جديد. كما حفّزت فيحاء شلش زوجات الأسرى ليقمن بدورهن لمساندة أزواجهن الأسرى، حيث لوحظ تزايد تفاعل الزوجات، والمشاركة في حملات دعم أزواجهن، خصوصا الأسرى الإداريين المضرين عن الطعام، كحملة دعم الأسيرين الإداريين اللذين أضربا عن الطعام؛ أديب مفارحة وفؤاد مفارحة.

لم يكن من المتوقع أن تؤتي حملات دعم الأسرى إلكترونيا أكلها خلال وقت سريع، فقد لعبت أدوات الإعلام البديل دورا مهما، وكانت فعالة وقياسية في نقل المعلومة والتفاعل معها من قبل الجماهير. والشاهد على ذلك سرعة انتشار الهاشتاقات، التي أطلقت خلال الحملات، كحملة محمد القيق، مما جعل القضية تخرج عن نطاق المحلية إلى العالمية، بغض النظر عن جنسية المتفاعلين، وأعمارهم وأماكن تواجدهم.

يعيدنا هذا إلى فكرة العقلانية التواصلية، التي تحدث عنها هابرماس، والتي تكون فيها مستويات الفعل بالنسبة للفاعلين غير مرتبطة بحاجيات السياسة فقط، بل مرتبطة بأفعال التفاهم. كما ذهب هابرماس إلى أن الفعل التواصلي يتميز عن غيره من الأفعال الأخرى، بأنه لا يسعى إلى البحث عن الوسائل التي تمكّنه من التأثير في الغير، بل يبحث عن كيفية التوصل إلى تفاهم معهم، وتوافق متبادل، دونما إكراه، وهذا كما حصل في التضامن مع الأسير الصحفي محمد القيق.

المراقبة الأمنية لمواقع التواصل الاجتماعي

اعتقلت الطفلة تمارا ذات الأربعة عشر ربيعا لنشرها كلمة "سامحوني" على حسابها الشخصي.

اعتقل الاحتلال الإسرائيلي العديد من الشباب والشابات من مستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي، وذلك على خلفية منشورات أو صور نشرها على حساباتهم الخاصة، خلال الهبة الأخيرة، اعتُبرت تحريضية ومخلة بأمن دولة

الاحتلال. كما هددت الأجهزة الأمنية الفلسطينية صراحة مستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي، بدعوى أنهم يثيرون الفوضى والعنف ضد الإسرائيليين.

تعددت أشكال المقاومة عبر الفضاء الإلكتروني منذ الانتفاضة الثالثة، وقد أبدى الفلسطينيون تفاعلهم عبر نشر المدونات والتغريدات والمنشورات الخاصة بالانتفاضة، حتى تلك التي تتضمن تشجيع عمليات الطعن والدهس، وتجديد المواجهات مع قوات الاحتلال على خطوط التماس.

كما تنوعت منشورات الهبة أو الانتفاضة بين نصوص وتدوينات وفيديوهات وصور، تؤرخ لفعاليات وأحداث مقاومة الاحتلال بأشكال مختلفة ومتعددة. أما صفحات الأخبار ووكالات الأنباء، فقد ازدحمت بالأخبار وأحداث الانتفاضة لحظة بلحظة، حتى باتت التغطيات مستمرة ومنتشرة. وقد لاقت هذه المواد الإعلامية الإلكترونية أصداء كبيرة في مختلف أنحاء العالم، خصوصا التي تم تداولها بمهنية عالية، وتقديمتها بصورة إنسانية للضغط على "إسرائيل"، وإخراجها على المستوى الدولي. فقد حصل فيديو الطفل الأسير أحمد مناصرة على ملايين المشاهدات، ووسم كذلك بالآلاف الهاشتاقات، وحصل على زخم عال جدا على المستوى الدولي، مما دعا "إسرائيل" إلى تقديم بلاغات لإدارة فيسبوك بحق آلاف الصفحات، بتهمة التحريض على القتل والعنف.

ولم تقتصر الملاحظات على الجانب الإسرائيلي فقط، إذ أن الأجهزة الأمنية الفلسطينية كذلك اعتقلت عددا من الشبان على خلفية نشر صور وفيديوهات ونصوص، قيل إنها تحريضية وتثير الفوضى، وقد تجاوزت الأحكام ستة أشهر بحق بعض المعتقلين.

وقد وصلت نسبة الاعتقالات على يد قوات الاحتلال بتهمة الكتابة على مواقع التواصل الاجتماعي إلى 60%، وعلى يد الأجهزة الأمنية في الضفة الغربية إلى 30%، بينما وصلت النسبة في قطاع غزة إلى 9% (سوشال ستوديو، 2015). وبذلك أصبح الفلسطينيون يعلمون أن استخدام مواقع التواصل الاجتماعي، تهمة يحاسب عليها الاحتلال، وأجهزة الأمن الفلسطينية.

وإذا ما اعتبرنا أن الإعلام البديل يشكل فضاء عاما متاحا للجميع، لمناقشة مختلف الأمور من خلال الفعل التواصلية، فإن الفلسطيني يُعتبر، ضمن المعطيات السابقة والملاحظات الأمنية، مهددا في فضائه العام. ولكن حسب الإحصائيات المدرجة أعلاه، لم تنخفض نسب مشاركة الفلسطينيين عبر وسائل التواصل الاجتماعي، على صعيد التفاعل والتداول ودعم حملات الأسرى وغيرها، رغم الملاحقة الأمنية.

الخلاصة والنتائج

مما سبق، وبكل تأكيد، يمكن القول بأن البحث أعطى إجابة إيجابية على السؤال الرئيس فيه: هل أسهمت مواقع التواصل الاجتماعي في ظهور الجمهور الفاعل، الذي ينتج الحدث ويشارك فيه؟ نعم، لقد كان ذلك واضحا على الصعيد الفلسطيني.

تبرز فعالية مستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي من الفلسطينيين، خصوصا الذين يجمعون بين المقاومة وأدائها التقانية، ويعون تماما أهمية محتوى الرسالة، وخطورتها، وعمق تأثيرها، وآليات نشرها وتداولها، وذلك من أجل توظيف العقلانية التواصلية، التي تؤتي أكلها على أرض الواقع، وللخروج عن الأدوار التقليدية للتقانة في إضفاء الشرعية على النظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي، إلى تفعيل المقاومة المدنية التقانية.

وإذا كان الفضاء العام يتكون من نواد وصالونات ومجالس ثقافية لتبادل الرأي والنقاش، في قضايا الأدب والفن وأمور المواطنين، فإن الفضاء الإلكتروني هو كذلك بيئة يثار فيها النقاش والجدال والتفاعل، اعتمادا على العقل المتحاور، وفي أجواء تسودها حرية تواصلية إن صح التعبير. ولقد رأينا كيف يتميز الإعلام البديل عن الإعلام التقليدي، حيث أن إعلام مواقع التواصل الاجتماعي كان مجاله أوسع وأكثر انطلاقا، إذ وفر الفضاء الإلكتروني نطاقا أوسع من الحريات التي تتيح مجالاً للمشاركة والتفاعل وصناعة الأحداث، والتأثير فيها، عبر إطلاق التغريدات والمنشورات والمدونات والهاشتاقات، في حوار ونقاش وتوافق واعتراض، ودفع للحراك الاجتماعي والسياسي، وإسهام في وعي مقاوم من خلال بينداتية تواصلية تفاعلية، ودون رقابة مباشرة.

لقد خلص البحث إلى أن نجاح هذا المجال العام يقاس بمدى الوصول والانتشار، ومدى الحرية التي يتمتع بها الأفراد داخل هذا الفضاء. كما لا بد أن يناسب الإعلام الإلكتروني، إلى حد ما، الفضاء العمومي الذي يقترحه هابرماس، بحيث يحقق جمعية بينداتية وتفاعلية بين الأفراد، على اختلاف أهداف ممارسته، من خلال أدوات الإعلام الإلكتروني على اختلافها، سواء من خلال المدونات أو المرئيات.

كما خلص البحث إلى أن صفحات التواصل الاجتماعي التي نشط عليها الفاعلون، مثل صفحة الأسير محمد القيق، تصنف على أنها مصممة ومخططة لتحقيق هدف التضامن ودعم الأسير في إضرابه. وتقاس أهمية تحقيق النجاح في استخدام وسائل الإعلام الاجتماعي وتحقيق أهداف استخدامها من خلال القدرة على التواصل، والمشاركة والتفاعل مع المتابعين، والنشر بانتظام، وبطريقة تحافظ على جذب الجمهور وإثارة اهتمامه.

إن من أهم ما أفضت إليه الحملة الإلكترونية لدعم القيق، أنها لم تقتصر على الهدف التي أنشئت من أجله، بل تعدى هدفها لدفع قضية الأسرى وملف الاعتقال الإداري إلى نقطة الضوء. كما دفعت أهالي وذوي الأسرى إلى اتخاذ إجراءات مشابهة للوقوف إلى جانب أسراهم إعلاميا.

كما يلاحظ من نتائج البحث أن معظم متابعي صفحات عينة البحث، فضلا عن فلسطين، كانوا من الخارج، وهذا إنما يدل على عالمية الحدث وانتشاره، مما يشكل أهمية في الحشد والتعبئة والتضامن من مختلف البلدان. وهذا يعني مواجهة الرواية الإسرائيلية للأحداث، وعدم الاكتفاء بها.

كما خلص البحث إلى أن الانتشار الواسع لمستخدمي الإنترنت في فلسطين، فضلا عن استخدام نسبة كبيرة منهم لمواقع التواصل الاجتماعي، يتوزع على معظم الفئات العمرية، وخاصة فئة الشباب، وذلك بالرغم من الملاحظات الأمنية من قبل الاحتلال وأجهزة أمن السلطة، والمراقبة المستمرة لنشاط الشبان عبر مواقع التواصل الاجتماعي، حيث بات الفيسبوك يشكل تهمة يلاحق بسببها الفلسطيني.

أوضح هذا البحث أن أهداف استخدام مواقع التواصل الاجتماعي خلال الانتفاضة، كانت تتعلق بالاطلاع على الصفحات الإخبارية، وقد وصلت نسبة ذلك إلى 96%. كما لوحظ أن أكبر نسب التفاعل كانت مع الفيديوهات والصور، مما يدل على مدى فاعلية الصورة في الإعلام الإلكتروني.

أما عن المهنية في إدارة الصفحات، فتحدد من خلال وضوح هدف الرسالة واستراتيجيات نشرها، ومراعاة المسؤولية الصحفية وأخلاقياتها. في هذا السياق، لوحظ عدم التزام مواقع الأخبار الفلسطينية بالأخلاق الصحفية، التي تمنع استغلال صور الدماء والأشلاء من أجل الحصول على مشاركة أوسع وتفاعل أكبر، حيث يعتبر ذلك تعدياً على مشاعر أهالي الشهداء والجمهور المشاهد. وفي المقابل، فإن التركيز على الجانب الإنساني من حياة الأسير والشهيد، يكون أكثر تأثيراً على المدى البعيد، وعلى الصعيد العالمي أيضاً.

وأخيراً، يؤكد هذا البحث أن المهنية في استخدام مواقع التواصل الاجتماعي، هي أحد أهم أشكال المقاومة المدنية اليوم، وأحد أهم وسائل الضغط، ليس على الاحتلال فحسب، وإنما على النخب السياسية والثقافية أيضاً.

قائمة المصادر:

المصادر العربية:

- (1) آفاية، نور الدين. (1991). الحداثة والتواصل، بيروت: الدار البيضاء.
- (2) الراوي، بشرى. (2012). دور مواقع التواصل الاجتماعي في التغيير: مدخل نظري، بغداد: مجلة الإعلامي، جامعة بغداد، ع 18.
- (3) السعودي، جمال. (2013). وسائل التواصل الاجتماعي ودورها في التحولات المستقبلية: من القبيلة إلى الفيسبوك، الإمارات: مركز البحوث الاستراتيجية.
- (4) حمدي، أبو النور. (2012). يورغن هابرماس: الأخلاق والتواصل، لبنان: التنوير للطباعة والنشر.
- (5) مصدق، حسن. (2015). هابرماس ومدرسة فرانكفورت: النظرية النقدية التواصلية، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- (6) هابرماس، يورجن. (2001). المعرفة والمصلحة، كولونيا: منشورات الجمل.
- (7) _____ (2003). العلم والتقنية كأيديولوجيا، كولونيا: منشورات الجمل، ترجمة حسن صقر.
- (8) مانفريد فرانك. (2002). حدود التواصل، ترجمة عز العرب الحكيم بناني، الدار البيضاء.
- (9) هوارى، حمزة. (2015). مواقع التواصل الاجتماعي وإشكالية الفضاء العمومي، الجزائر: مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، ع 20.

المصادر الأجنبية:

1) Habermas, Jurgen (1979), Communication and the Evolution of Society, tr. Thomas McCarthy, London: Heinemann Educational Books.

2) C. Calhoun (1992), Habermas and the Public Sphere, Cambridge: Mass. MIT Press.

3)Oxford Internet Institute .The Use of Social Media for Research and Analysis: A Feasibility Study, A report of research carried out by the on behalf of the Department for Work and Pensions.

4)<https://www.gov.uk/government/organisations/department-for-work-pensions/about/research#research-publications>.

5)Sanghee Oh, Methods of Social Media Research: Data Collection & Use in Social Media, Florida State University.

6) http://www.csu.edu.au/_data/assets/pdf_file/0016/351223/Oh-24July-Slides.pdf

التقارير:

- 1) تقرير وسائل التواصل الاجتماعي في فلسطين الصادر عن سوشال ستوديو، 2015.
- 2) برنامج تحليل معلومات إلكتروني بالتعاون مع سوشال ميديا، رام الله، فلسطين.
- 3) تقرير مركز حوار التابع للاتحاد الأوروبي، 2014.

المقابلات الشخصية

- 1) مقابلة أجرتها الباحثة مع فيحاء شلش بتاريخ 4 أيار 2016.
- 2) مقابلة أجرتها الباحثة مع نعاء حامد بتاريخ 8 أيار 2016.